الخبير

الاسم هو الخبير ، والخبير من أسماء الله الحسنى كما أنه لا يخفى على القراء الكرام أن أسماء الله كلها حسنى ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وكمال الله جل جلاله كمال مطلق ، على حين أن كمال الإنسان كمال نسبي ، فعدل الله مطلق ، وقدرتُه مطلقة ، ورحمتُه مطلقة ، وعلمه مطلق .

ومن المعلوم عند القارىء الكريم أن الخبير صرفياً وزنه فَعِيل ، ومن معاني فعيل مُفْعِل فخبير بمعنى مُخبِر ، ويراد به أنه متكلم ، وأن القرآن كلام الله عز وجل ، والمعنى الآخر للخبير هو الذي يعلم كل شيء ولا يغيب عن علمه صغيرة ولا كبيرة ، وهو العالم بكُنْه كل شيء ، ومطلع على كل حقيقة مهما دقت أو خفيت ، العليم بدقائق الأمور لا تخفى عليه خافية ، يعلم الداء والدواء ، العلم بظاهر الأشياء وبواطنها بشكلها وحقيقتها وبجلائلها ودقائقها بما تراه عينك وبما يخفى عنها ، يقول أحد العلماء : الخبير هو الذي لا تغرب عنه الأخبار الباطنة ، ولا يجري في الملك والملكوت شيء إلا بعلمه ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بعلمه ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا

بعلمه ، وقيل : الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا تتحرك حركةٌ ولا تسكن ساكنةٌ في السماء والأرض إلا يعلم مستقرها ومستودعها . لكن قد يسأل سائل : أليس هذا هو العليم ؟ هذا كله يمكن أن يكون شرحاً لاسم العليم فما لنا نتحدث عن اسم الخبير بما يشبه اسم العليم ؟ الحقيقة أن العلماء فرقوا بين العليم والخبير .

فالخبير يفيد معنى العليم ، ولكن العليم لا يفيد معنى الخبير ، لذلك اسم الخبير هو عليم ومع العلم شيء آخر ، وسوف أُوضِّح عن طريق الأمثلة الفرق الدقيق بين العليم والخبير ، وهناك آية في القرآن الكريم ورد فيها اسم الخبير ، وسأجعلها أساسًا لهذا البحث ، وقد ثبت في القرآن لفظ الخبير أكثر من أربعين مرة فقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

لو أنني أمسكت هذا الكأس ووضعته في هذا المكان ، أنتم جميعاً رأيتم أنني نقلته من مكان لآخر فذا هو العلم ، ولكن لماذا نقلته ؟ ما الدوافع التي حملتني على نقله ، وما الخواطر التي خطرت ببالي حين نقلته ، وماذا أبتغي بنقله ، وما الباعث على نقله ، علمُك أنه انتقل من مكانٍ لآخر هذا يسمى علماً . أما الخبير فمنه إنه إذا قال الله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فهذا يعني أنه يمكن أن تعمل عملاً لا يشك أحد من الخلق أنه عمل طيب ، وتكون النية ليست طيبة ، فالله خبير بما تعمل ، قد تدعي شيئاً وأنت على خلافه ، وقد تريد

شيئاً في الظاهر ، ولكنك في الباطن لا تريده ، وقد ترحب وأنت تبغض ، وقد تغضب وأنت تحبّ ، حقيقة العمل ومؤدّى العمل هي للخبير ، فهو الذي يعلم ذلك ، فالخبرة العلم بدقائق الأمور وببواطنها وبواعثها وبأهدافها البعيدة وبما يخامر فاعلها من مَشاعر .

آية ثانية :

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

من باب الطرفة نقول : هذه أسرة تزورها ذات يوم من أيام الشتاء صديقة الزوجة وتجلس مع الزوجة في غرفة مجاورة ، يقول الزوج تعالي إلى هنا فالغرفة هنا أدفأ ، يا ترى هل هذا الذي ذكره هو الحقيقة ، أم هناك شيء يخفيه ولا نعلمه ؟ فالله خبير والأعمال بِحَجمها وتفاصيلها ، وبواعثها وأهدافها وأبعادها وبمقاصدها وخلفياتها وجزئياتها لا يعلمها إلا الله ، فالله هو الخبير ، قال تعالى :

﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

قد تجد إنساناً يعمل عملاً طيباً ، وربما ساق الله له بعض المصائب فتقول : لِمَ أصيب وأعماله طيبة ؟ أنت لا تعلم لأن الله هو الخبير ، لم يَسُق الله له هذا الحادث إلا لحكمة بالِغةٍ ورحمة به ، فالله بما تعملون خبير ، مثلٌ آخر ؛ طبيب له الحق أن يرى موضع الألم من المرأة ، لكنه إن نظر إلى موضع آخر لا تشكو منه فهل على وجه الأرض جهة تكشف خيانة بصره ؟ لا . . إلا الله ، قال تعالى :

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] .

وقال تعالى :

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] .

فإذا أرسل الله عز وجل مصيبة فلا تحزنوا لمجيئها ، ولا تفرحوا بما آتاكم فالله خبير بما تعملون ، حكمة الله اقتضت أن يرسل عليكم هذه المصيبة ، إنسان صالح هو في حركة انتقال من بيته إلى مسجده وبالعكس ، رزقه الله تعالى مبلغاً كبيراً من المال ، هل سيبقى على حاله أم يتغير ؟ هذا لا نعلمه ، لكن الله يعلمه فالله خبير بما تعملون ، عَلِم ما كان وعلمَ ما يكون وعلمَ ما سيكون وعلمَ ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، إن من عباد الله من لا يصلحه إلا الفقر فإذا أغناه أفسد عليه دينه ، وإن من عباد الله من لا يصلحه إلا الغنى فإذا أفقره أفسد عليه دينه ، فمن الذي يعلم حقيقة النفس ، كنت مرة في طريقي فرأيتُ جداراً منهاراً بسبب هبوب عاصفة هوجاء بلغت سرعتها مئة وثمانين كيلومتراً في الساعة ، فهذا الذي بنى الجدار هل يعرف السرعة التي ينهدم فيها الجدار ؟ لا يعرف ونحن إذا أردنا أن نعرف لا بد من التجارب ، فبعض المعامل من أجل أن تعرف مقاومة الآلات ، تضعها في ظروف صعبة بمركَبة تنتقل بِسرعة مئة كيلو متر وأمامها جدار من الإسمنت المسلّح ، طبعًا يحتالون على أن تنطلق من غير سائق ترتطم بهذا الجدار ، فيختبرون مقاومة هذا المعدن وهذا الهيكل على سرعة مئة كيلو متر ، ماذا فعل بها هذا الصَّدم الشديد ؟ وإلى أي مكان وصل هذا الصّدم ، ويبنون على هذه التجربة خبرتهم!

إن الإنسان الذي صنع هيكل مركبة وغلّفها وهيّأها ، لا يعرف في حال اصطدامها بجدار مدى تأثير الجدار فيها إلا بعد الاختبار ، فنحن لا نعلم إلا بالتجربة ، فخبرة الله قديمة ، وخبرة الإنسان مكتسبة ، والدليل أن خلق الإنسان لم يطرأ عليه أيُّ تغيير منذ خلقه الله سبحانه وتعالى . فالبشر من العصور القديمة وحتى الآن لم يطرأ تغيير على خلقهم . ولكننا إذا نظرنا إلى سيارة صنعت سنة ألف وتسعمئة مثلاً ، ترى بينها وبين التي صنعت سنة ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين بَوْناً شاسعاً غير معقول ، فالقطار الأول الذي صنع قديماً ألزمتهم الجهات المؤولة أن يمشي إنسانٌ أمامه كي يحذر الناس منه حينما يسير ؛ فسرعته كانت تعادل سرعة الإنسان أما الآن فالقطار ينطلق بسرعة ثلاثمئة وستين كيلومتراً في الساعة والتطورات ما زالت تأتي بالجديد ، فالإنسان خبرته مكتسبة وحادثة ، أما الله فخبرته قديمة بدليل أن كل شيء خلقه الله خلقه منذ اللحظة الأولى في أبدع صورة وفي أكمل حال وما زال على صورته وحاله . قال تعالى :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] .

مرة كنت عند أحد إخواننا الكرام الذين يعملون في إصلاح السيارات ورأيت عندهم قطعة ميكانيكيّة مُلقاة على الأرض فقلتُ : ما قِصَّة هذه القطعة ؟ فقال : جاءَت وجبة مركبات فيها هذه القطعة ، وبعد عشرة آلاف كيلو متراً من استعمال المركبة ، تكسر من هذا المكان وأشار إليه ، ويوجد فيها منطقة ضعيفة ، والذي صنع هذه الآلة لم يكن يتخيَّل أنَّ هذا المكان ضعيف على التحمّل وبذل الجهد ، ومنها علمت أنّ كلّ تعديل يطرأ على مركبة أو على آلة دليل

نقص في الخبرة ، والنقص في الخبرة يتلافونه في العام القادم! فالتطويرات التي تطرأ على خبرة الإنسان دليل على أن خبرته ناقصة ومكتسبة وحادثة ، أما خلق الله الكامل والذي لا يزال كاملاً وسيبقى كاملاً فهو دليل على أن خبرة الله قديمة ، حليب الأم مثلاً فقير إلى الحديد وهو معدن أساسي جداً في تكوين خضاب الدم ، لو فحصنا طحال وليد رضيع نجد أن فيه كمية حديد تكفيه عامين إلى أن يتمكن من أن يأكل غذاءً منوّعاً ، فمن فعل هذا ؟ الخبير ، ولماذا جُعل ثقب بين الأُذين والأُذين في القلب ، كشفه العالم بوتال وهذا الثقب وظيفته أنه مادام الطفل في بطن أمه ولا يلزمه هواء ولا يتنفس والرئة معطلة ، لذلك بدل أن يدور الدم إلى الرئة ويعود إلى الأُذين ينتقل من أُذين إلى أُذين ، وحينما يولد الطفل تحدث له جلطة لتغلق هذا الثقب كما قال العلماء ، وعندها تنتقل الدورة التي كانت من الأذين إلى الأذين فتصبح من الأذين إلى الرئة كل هذا من صنع الخبير ، ويلح علينا الآن سؤال هام ؛ لماذا لا نجد في أظافرنا وشعورنا أعصاباً حسية ؟ فلو كان الأمر كذلك لاحتجنا إلى الذهاب إلى المستشفى لتقليم أظافرنا وشعورنا ولاحتجنا إلى تخدير . فهذا هو الخبير الذي أعطى كل شيء خلقه ، إذ لم يجعل أعصاب الحس في الأظافر ولا في الشعر ولكنّه جعل أعصاب الحس في العظام! فإذا انكسر العظم تألّم الإنسان أشد الألم ، فالشعور بالألم أربعة أخماس العلاج! كذلك لو دققت في خلق الإنسان وفي خلق الحيوان والنبات لرأيت العجب العجاب ، لو ترك الفلاح الشجرة بلا سقيا ما الذي يحصل ؟ ستستهلك هذه الشجرة ماء الورق ثم ماء الغصن ثم ماء الفروع ثم ماء الجذع ثم ماء الجذور وآخر ماء تستهلكه هو الماء الذي في آخر الجذر ، فلو كانت الشجرة

تستهلك الماء ابتداءً من الجذور لماتت كل الأشجار لمجرد توقفنا عن سقياها مرة واحدة ولكن الله رحمة بنا جعل الدورة معاكسة ، ولماذا ينكمش الماء إذا بردناه ؟ أما إذا وصل إلى درجة زائد أربعة فيزداد حجمه ، هذه الظاهرة لولاها لما كانت حياة على سطح الأرض ، كل هذا من فعل الخبير ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

حتى العدْل مع الكافر قُربة إلى الله ، قد تقرّبه إلى الإيمان حينما تعدل مع الكافر ، فهل هذا ابتغاء مرضاة الله أو خوف من الإنسان ؟ من يكشف ما إذا كان هذا الإحسان صادراً عن خوف من الناس أوعن ابتغاء مرضاة الله ؛ هو الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وفي آية أخرى :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

وقوله تعالى :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الأنعام : ١٠٣]

لو احتال طبيب أسنان على قلع ضرس طفل فمهما يهون على الطفل ومهما يداعبه فإن الطفل يشعر بالألم ، إما بألم الحقنة المخدِّرة أو بألم الضرس مباشرة ، لكن الله الخبير إذا أراد تبديل أسنان هذا الطفل فهل يتألم لا إطلاقاً فهو لا يشعر بسقوط أسنانه اللبنية وتبديلها .

ويقول الله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٦] .

ورد اسم الخبير كما قلنا في أربعين آية من كتاب الله ، والخبير هو الذي يعلم البواعث والخواطر ، يعلم الخلفيات والملابسات ويعلم حقيقة كل شيء ، ويعلم الاحتمالات فنحن البشر لا نعلم حقيقة الشيء إلا بالتجارب ، حتى إذا أردنا صنع دواء نزرعه في الجراثيم كي نتعرف إلى مدى مفعوله ، إما أن يقتل تلك الجراثيم فهو فاعل ، وإما أن تبقى حية كما كانت فهو غير فاعل ، فعلوم البشر كلها أساسها التجربة ، لذلك سموه بالعلم التجريبي لكن علم الله وخبرته لا يفتقر إلى التجربة ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج : ٦٣] .

في مواضع كثيرة جاء اسم الخبير مقروناً باسم اللطيف فهناك علاقة بين الخبرة واللُّطف ، آية أخرى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] .

فهذا الذي يغض بصره أمام الملأ ويتصنع ثم إذا خلا بنفسه ومد بصره إلى الحرام ، هل يستطيع أحد أن يعرف إخلاص هذا المرء ورياءه ؟ لا أحد ولكن اللطيف الخبير أعلم بحاله من نفسه ، لذلك قال تعالى في آخر الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

إذا علمت أن الله يعلم وهو خبير بِسِرِّك وجهرك وسريرتك

وعلانيتك وخَلْوَتِك وجَلْوَتِك وبواعثك وخواطرك ومقاصدك وخلفياتك والمؤدَّى الذي تبتغيه من عملك ، وعلمت أن الله خبير وأنك في قبضته ، فما التطبيقات العملية لهذا الاسم ؟ أنت مكشوف أمامه ولا تخفى على الله منك خافية ، علانيتك كسرِّك ، وجهرك كسِرِّك ، فهذا يجعلك تستقيم على طاعته وألا تخشى معه أحداً آخر وهذه هي أول ثمرة للإيمان باسم الخبير ، يقول أحد الأئمة : من أدب المؤمن مع اسم الخبير أنه مَن عرف أن الله خبير بأفعاله وأقواله وأعماله كان محترزاً في أقواله وأعماله وواثقاً بجميع اختياره ، وأنه ما قُسم له لن يفوته ، ومالم يُقسم له لن يُدركه ، إذاً أولُ ثمرة الاستقامةُ والرضا والاستسلام ، ومن أدرك وأيقن « **اسم الخبير** » يرى أن جميع الحوادث من الله سبحانه وتعالى ، فتهون عليه الأمور بخلاف من يضيف بعض الحوادث إلى الحق وبعضها إلى الخلق ، وأنه هو الفعال لما يريد وكل الأمور بيده ، من خلال هذا نقول : إنك إذا أيقنت من « **اسم الخبير** » أنه هوالمطلع على سرِّك وهو عليم بِخَفيِّ أمرك وما في صدرك يكفي لرفع همتك إليه واستحضار حاجتك في قلبك من غير أن تنطق بلسانك وهي فكرة دقيقة جداً ، عِلْمكَ أن الله مُطَّلِعٌ على قلبك يجعلك تناديه نداءً خفياً كما فعل سيدنا زكريا .

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم : ٣] .

وبعضهم تجده يجهر بالدعاء وكأنه يناجي بعيداً ، فالمؤمن إذا عرف اسم الخبير ناجاه في سرِّه وسأله في سرِّه ودعاه في سرِّه ، ولم يحتج إلى رفع صوته بالدعاء ، فإذا كنت يا الله معي في كل حالي فأنا في غنى عن حَمْل زادي ، بعضهم ينصح المؤمنين أنّ مَن كانت به حاجة إلى الله أن يقرأ قوله تعالى :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

هناك معنى آخر للخبير ، فأنت في دنياك تتحرك ، وهناك أهداف ووسائل سمح بها الشرع لكسب المال ، وهناك وسائل غير مشروعة ، فقد يبدو لك أن هذه الوسائل التي لم يسمح بها الشرع أسرع ونتائجها أضمن وهدفها أكبر ، وتتوهم أن الطريق التي رسمها الله لك طريق طويلة وهزيلة ، فيُقبل هذا الإنسان الجاهل على وسيلة غير مشروعة من أجل كسب المال فيُفاجأ بِتَلَف ماله ؛ لماذا يا رب ؟ فمِن أجل الوصول إلى دخْلٍ وفير أنت مكلف بتطبيق منهج الله ، فالنجاح ليس بالذكاء وإنما بالتوفيق ، والتوفيق بالطاعة ، فالذي يسرع إلى وسيلة غير مشروعة ظناً منه أنها موصلة قبل المشروعة فهو واهم لأن الله خبير ، وهو الذي أمرك بالإقبال عليه وأن الانغماس في الشهوات شقاوة وأن كل السعادة بطاعة الله ، فكل من اتبع الخبير يسعد ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

فحينما تسلك منهج الله تقطف الثمار اليانعة ، وحينما تحيد عن منهج الله تندم أشد الندم لأنك أسأت الظن بالخبير ، فيما يخص الآلات الثمينة والمعقدة وعظيمة النفع تعتقد بالبداهة والفطرة دون توجيه أن الذي صنعها هو الوحيد الخبير بها ، ولذلك تحتاج إلى كُتيِّب ، فإذا كان هذا في شأن هذه الآلة ، فما بالك في شأن نفسك التي تحوي أسراراً وخفايا لا يعلمها إلا الله فهي تحوي أفكاراً وشهوات وروحاً وجسداً وميولات وغرائز وطموحات وقيماً ومبادىء وكلها أمورٌ معقدة جداً ، أفلا يجعلنا هذا نقول إن لهذه النفس منهجاً يوجهها ويسددها ، إنه منهج الله .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

أحد العلماء الكبار تكلم على حظ العبد من اسم الخبير هذا موضوع ثالث ، ولقد سرنا في بحثنا هذا وفق النسق التالي : التعريف باسم الخبير ، التطبيقات العملية لاسم الخبير ، ومن ثم حظ العبد من اسم الخبير فقال : يجب أن يكون العبد خبيراً بأحواله وبإيمانه وخبيراً بمشاعره وأحوال قلبه والخفايا التي يتصف بها قلبه وخبيراً بإخلاصه واستقامته ، فأقرب شيء منك جسمك ونفسك ، فلا بد أن تكون خبيراً بقلبك ؛ هذه الخواطر التي تأتيك أمِن قلبك أم من نفسك أم من الشيطان ؟ وهل هي وساوس أم إلهامات ؟ وهل هذا العمل باعثه الإخلاص أم الرياء ؟ ينبغي أن تكون خبيراً بأحوالك ونفسك وقلبك ، وكسبك للمال وإنفاقِه فاسم الخبير يقتضي أن تكون خبيراً بما أنت عليه لأن أول حركة لمعرفة أيّ مشكلة ، هي أن تعرفها أنها مشكلة ثم تحددها إذْ إنك لاتترك عملاً إلا إذا علمت أنه ذنب ، فقبل أن تترك الذنوب ينبغي أن تعلم ما الذنوب ؟ فأول خطوة نحو إصلاح النفس أن تعرفها وتعرف حقيقتها وألا تنخدع بها .

ما زلنا في الحديث عن حظ العبد مع اسم الخبير قال عالم جليل : يجب أن يكون العبد خبيراً بما يجري في عالمه ، وعالمُه هو قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف بها القلب من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والتجمل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس ، ولا يعرف ذلك إلا صاحب خبرة بالغة قد خبِر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها فحاذرها وشمر لمعاداتها ، فذلك العبد جدير بأن يسمى بين العباد خبيراً ، لذلك من عرف أن الله

خبير كان بزمام التقوى مشدوداً وعن طريق المنى مصدوداً ، وقال أحدهم : من أراد عِزاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان وغنىً بلا فقر فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وقال بعض العلماء : لا يَنال الحظ الأوفر من هذا الاسم الشريف « الخبير » إلا من كان خبيراً بدسائس نفسه بصيراً بخدائع حسه ، يعرف الفرق بين خطرات الشيطان وإلهامات المَلَك بصيراً بإلهامات الرحمن ووساوس الشيطان ، وبعض العلماء لهم دعاء يتعلق باسم الخبير ، يقول هذا العالم الجليل : إلهي أنت الخبير بالدقائق والبصائر ، والمطَّلِع على السرائر والناظر إلى الضمائر تجلَّ لي بنور اسمك الخبير بلا حول مني ولا تدبير ، حتى أكون خبيراً بالأمور الغائبة عن الجهال ، وأنجو من الشرك الخفي وما هو أخفى في الأقوال والأعمال ، ويتجلى لي مولاي الخبير نِعْم المولى ونِعْم النصير ، لذلك فإليك الآية الكريمة :

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] .

فمضمون هذه الآية : من لوازم خبرته أنه يعلم ما خفي عنك .

أيها القارىء الكريم : هذا الاسم له تطبيقانِ أساسيان :

ـ الأول : أن تعلم أنك مكشوف أمام الله ، لا تخفى على الله منك خافية .

ـ الثاني : أن تكون أنت خبيراً بأحوالك وخواطرك وقلبك وإيمانك ووساوسك وإلهامات الملائكة ، فأنت خبير ، وأن تعلم أنه خبير ، عندئذ تتحقق لك الفائدة من هذا الاسم الجليل .

* * *